

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثامن والثلاثون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تعالى في كتابه [كتاب التوحيد الذي هو حق الله علي العبيد] قال:

باب

قول الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء: ٦٠]

وقوله: { إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } [البقرة: ١١]

وقوله: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } [الأعراف: ٥٦]

وقوله: { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ } [المائدة: ٥٠]

عن عبد الله ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به))، قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي (كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال: اليهودي نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة فاتفقا على أن يأتيا كاهن في جهينة فيتحاكما إليه فنزلت: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ } الآية، وقيل نزلت في رجلين اختصما، فقال: أحدهما نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر إلى كعب ابن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرضى برسول الله ﷺ: أكذاك؟، قال: نعم فضربه بالسيف فقتله.)

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلي آله وصحبه
أجمعين أما بعد:

فقد قال شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: { ألم تر إلى الذين يزعمون
أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك } الآيات

◆ عقد الشيخ - رحمه الله - هذا الباب:

ليبين أن من لوازم الشهادتين التحاكم إلى الله ورسوله أن من لوازم الشهادتين اللتين هما التوحيد والإتباع
التحاكم إلى الله ورسوله، وأن من ترك التحاكم إلى الله ورسوله واستغنى عنهما بسواهما فقد ناقض أصل التوحيد
واستدل على ذلك بجملة من الآيات والأحاديث والآثار الآيات الأول هي ما جعله الشيخ ترجمة للباب.

◆ " ألم تر ": والخطاب للنبي ﷺ، وهذا الاستفهام استفهام للتعجب، والإنكار؛ لأن حال هؤلاء

المذكورين يقتضي العجب منهم والنكير عليهم،

" ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك " : ويزعمون: أي يدعون، وغالباً ما يستخدم الزعم في
الدعوى التي تفتقر إلى بينات، غالباً ما يعبر بالزعم في الدعوى التي تفتقر إلى بينات، وربما عبر بالزعم في الحقائق
المستقرة، لكن الأعم الأغلب أن يعبر بالزعم في ما يحتاج إلى بينة، وفيما يكون موضع مسائلة وتهمة.

" ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك " :

" ما أنزل إليك " : هو القرآن العظيم، " وما أنزل من قبلك ": أي التوراة والإنجيل وخلافهما فالقوم يدعون
الإيمان بما أنزل الله تعالى من كتاب أي أنهم يتظاهرون بالإيمان، لكن الأمر ليس كذلك لأن هؤلاء طائفة من
المنافقين كما سيأتي وصف الله حالهم بما يلي:

أولاً: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) : إذا هذه إحدى صفاتهم: التحاكم إلى
الطاغوت ما علمهم بوجوب الكفر به التحاكم إلى الطاغوت ، والطاغوت: - كما تقدم معنا مرارا - ما تجاوز به
العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، وهو مشتق من الطغيان الذي هو التجاوز والطاغوت هاهنا كما سيدل
عليه حديث آت هو كعب ابن الأشرف، لكن الآية أعم، والقاعدة عند المفسرين أن العبرة بعموم اللفظ لا

بخصوص السبب. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقد تنزل آية من الآيات في واقعة معينة فلا يقتضى هذا اختصاص تلك القضية العينية بهذا الحكم بل ما دل عليه اللفظ بعمومه فانه ينسحب على جميع أفرادها. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) : إذا الكفر بالطاغوت واجب كما دلت على ذلك الآيات الكثر ،

(ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) : أي بهذا المسلك يستهويهم الشيطان، ويغويهم فيتهم تيه بعيدا الضلال بمعنى التيه وهو الضياع والتهيه عن الطريق الحق والهدى، وتتمة هذه الآية:

(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) : إذا هذا هو الوصف الثاني: أنهم إذا دعوا إلى التحاكم إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدوا وأعرضوا وأشاحوا بوجوههم إذا هذا هو الوصف الثاني،

(فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) : هذا هو الوصف الثالث: وهو أنهم إذا وقعت عليهم بلية ومصيبة، وانكشف أمرهم، وافتضح جاءوا إلى النبي ﷺ معتذرين أنهم إنما أرادوا الإحسان، والتوفيق، والصلح، ونحو ذلك من الدعاوى الذي ظاهرها البراءة، وباطنها الخبث والإساءة.

◆ هذه الآيات مناسبة لما أراد الشيخ - رحمه الله - من ذكر هذا الباب في [كتاب التوحيد]:

إذ أن فيها أن مقتضى الإيمان بما أنزل الله من كتاب، وما أنزل على نبيه من هدى وبيان التحاكم إلى الله ورسوله، وذم التحاكم إلى الطاغوت، وأن من أعرض عما أنزل الله وما أتى به الرسول فليس بمؤمن، فقد ناقض شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

◆ هذه الآية العظيمة عند التأمل فيها، نجد أنها تنطبق على فئات متعددة:

فقد طبقها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - على المتكلمين، اللذين اشتغلوا بعلم الكلام وتركوا علوم الكتاب والسنة؛ فإن المتكلمين أعجبوا بعلوم اليونان ومنطق اليونان وقدموا الأدلة العقلية على الدلائل النقلية فشاهاوا المنافقين بهذه الصفات فلو عقدنا مقارنة لوجدنا أن هؤلاء المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن شابههم كذلك يقعون في ما وقع فيه هؤلاء المنافقون، تأملوا :

(١) أولاً: لأنهم جميعاً يزعمون أنهم آمنوا (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) وكذلك المتكلمون يقولون نحن مؤمنون نحن من جملة المسلمين، نحن من أهل القبلة فالزعم حاصل من الطرفين

(٢) طيب الأمر الثاني: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) المتكلمون يتحاكمون لا إلى الكتاب والسنة وما جاء في الوحيين وإنما:

- يتحاكمون إلى منطق أرسطو، وعلوم اليونان، والمقدمات التي يسمونها عقلية،
- ثم بعد ذلك يستدعون نصوص الكتاب والسنة فإن هي وافقت ما دلتهم عليه عقولهم ومقدماتهم قبلوها واعتبروها أدلة مساندة وإن هي عارضت ما توصلوا إليه استعملوا معها أحد طريقتين:
- إن كان قالوا لا يؤخذ بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد لا يؤخذ بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد وأهدروا النص،
- وإن كان حديثاً متواتراً أو آية محكمة قالوا لا بد من التأويل، سلكوا مسلك التأويل فلووا أعناق النصوص لتوافق ما أملت عليهم قولهم إذا شابهوا هؤلاء بهذا (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)

وقد نهانا الله تعالى عن مضاهاة اللذين كفروا من قبل، وأمرنا أن نكتفي بما أنزل الله من كتابه، وما علم نبيه ﷺ من هدى وبيان ولا شك أن هذا من إضلال الشيطان لهم وتزيينه لهم فإن الشيطان سوغ لهؤلاء المتكلمين علوم القول وزخرفها لهم وأنها هي التي يحصل بها العلم القطعي اليقيني ولا والله ما حصلوا العلم القطعي اليقيني بمسلكهم ذلك بل كانوا في غاية الاضطراب والتناقض.

(٣) ثم في قوله تعالى: {إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا}. إذا قيل لهؤلاء المتكلمين هلموا إلى علوم الكتاب والسنة إذا صاح بهم أهل الحديث وقالوا المرجع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والتحاكم إلى الآثار أشاحوا بوجوههم وقالوا ونبذوا أهل السنة بألقاب السوء وقالوا أنتم حشوية نوابت وسخروا منهم

(٤) ثم أيضاً في قوله: {فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا} [النساء: ٦٢]، هؤلاء المتكلمون شابهوا المنافقين في هذه الخصلة؛ فإنهم يدعون أنهم

سلكوا هذا المسلك للتوفيق، زعموا، بين الأدلة النقلية والأدلة العقلية، ويقول قائلهم (إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا).

فأحسن الشيخ - رحمه الله - بهذه المقارنة التي عقدها ونظر بها بين حال هؤلاء المتكلمين وحال أولئك المنافقين السابقين،

ولعل أضيف في هذا المقام فئة ثالثة تشابه هؤلاء وهم منافقوا الزمان اللذين يطلق عليهم علمانيين أو

ليبراليين:

فإنهم قوم يحملون أسماء أهل الإسلام عبد الله وعبد الرحمن ومحمد ولكنهم قلوبهم لا تتوجه إلى الكعبة وإلى مكة، وإنما تستقبل الغرب فهم مفتونون بالغرب في ثقافتهم، وآدابهم، واقتصادهم، واجتماعهم وغير ذلك لو تأملنا - أيها الإخوان - لوجدنا أنهم يشاركون سلفهم بهذه الأوصاف:

فهم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يقولون نحن من جملة المؤمنين ثم ماذا؟ إذا أتينا إلى الواقع وإلى التطبيق نجد أنهم (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) فهم معجبون بفلاسفة الغرب، ومنظريهم، وقادتهم، وزعمائهم الغرب أو الشرق حتى على أن على ألسنتهم ذكر هؤلاء وقل أن يذكروا آية أو حديثا أو يستشهدوا بقول لعالم من الأمة فهم في الواقع (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) يريدون تطبيق القوانين الوضعية، وتغيير حال المرأة في المجتمع، ويريدون يعني أن يكون الاقتصاد ربويا، يريدون أن يشاكلوا الغرب والشرق في جميع أحوالهم وينزعوا صبغة الله التي صبغ بها الله عباده المؤمنين، وكما قال الله: {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا}،

إذا صاح بهم مواطنوهم وأهلهم، من أهل العلم والإيمان، وقالوا لهم، اتقوا الله وارجعوا (إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتِ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا)، فإذا بهم يهزئون ويسخرون بأهل العلم ورجال الحسبة، وينظرون إليهم نظرة دونية، وكأنهم يعني لم يبلغوا مبلغهم من الثقافة والإطلاع وغير ذلك، يزدرونهم، ثم ماذا أيضا (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم)

إذا وقعت لهم فتنة أو خافوا سخطة (جاءوك يخلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) نحن نريد أن نحسن العلاقات نحن نريد كذا وكذا وهم في الواقع يثلمون الدين ويهدمون أركانه مهما زوقوا العبارات

وذوقوها فإنهم في الحقيقة سلكوا مسلكا كمسلك أولئك فينبغي لنا أيها الإخوان أن نعتبر بهذه الآيات العظيمة ونعلم أن الله تعالى ما أبقي ذكرها إلا لكي ننتفع بها على الدوام.

◆ ونستفيد من هذه الآيات :-

- أولا: أنه لا يجوز تقديم كلام أحد على كلام الله ورسوله، أنه لا يجوز تقديم كلام أحد كائن من كان على كلام الله ورسوله
- ونستفيد أيضا وجوب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع الرضا والتسليم قال ربنا - عز وجل - : { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما }
- ونستفيد أن من تحاكم إلى غير شرع الله واقتضاه فليس بمؤمن كما وصف الله حال هؤلاء ولو ادعى دعوى الإصلاح أو التطوير أو العصرنه أو غير ذلك فإنها دعوى باطلة
- ونستفيد كذلك أيضا أن من غير ما أنزل الله فهو طاغوت، ومن تحاكم إليه فقد تحاكم إلى الطاغوت مهما سماه بأي اسم، وان سماه مثلا حقوق الإنسان، وان سماه الحرية الدينية، وان سماه المساواة بين الجنسين، وإن سماه بأي اسم من الأسماء المزوقة فمن تحاكم إلى غير شرع الله فقد تحاكم إلى طاغوت
- ونستفيد منه أيضا وجوب الكفر بالطاغوت وقول الله { وقد أمروا أن يكفروا به }
- ونستفيد أيضا وجوب الحذر من مكائد الشيطان { ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا } ولتعلموا يا رعاكم الله أن الشيطان لا يقول لأتباعه هلموا إلى الضلال أقبلوا على الضلال لا يقول هذا الأفضل وهذا الأحسن ويزين ذلك بشتى العبارات
- كذلك أيضا نستفيد أن من دعي إلى شرع الله فأعرض فهو منافق لما أخبر الله تعالى به من هؤلاء { وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا } فإذا قيل لأحد هلم إلى شرع الله فقال لا نتحاكم إلى القانون الانجليزي والفرنسي أو غير ذلك فهذا منافق حيث ارتضى أو قدم غير شرع الله عليه على شرع الله
- نستفيد أيضا ما أسلفنا ذكره من مشابهة المتكلمين للمنافقين في هذا المسلك

- ونستفيد أيضا مشابهة العلمانيين والليبراليين للمناققين في هذا المسلك؛ ولعلنا أن نبين لكم هاتين اللفظتين لأن منكم من قد لا يعرف أصلهما وهما كلمة علماني وليبرالي فإن :

◆ كلمة "علماني": مأخوذة من العلمنة ولا يصح أن يقال علمانيين فالنسبة ليست إلى العلم، العلم مهم براء، وإنما النسبة إلى العالم أي الدنيا إذ أن أصل هذه اللفظة في اللغة الانجليزية معناها الدنيوية أي بمعنى أنها بمقابل الدينية وذلك أن النصارى الغربيين يقسمون المجتمع إلى رجال دين اللذين هم رجال الكهنوت، أو رجال (الإكليروس)، اللذين ينطون تحت عباءة الكنيسة، ودنيويين يسمونهم علمانيين، ولا يعدون ذلك سبة، فالنسبة في قولنا علماني إلى العالم أي الدنيا، وحقيق أن تسمى الدنيوية حتى لا يشتبه الأمر بالعلم، ويقال الدنيوية بدلا من العلمانية، لكن على كل حال قد شاع هذا المصطلح،

والمراد بالعلمانية إقصاء الدين عن أمور الحياة بحيث يظل في أحسن الأحوال سلوك شخصيا لكن لا شأن له بأمر الدنيا من الثقافة، والسياسة، والاقتصاد، وعلم الاجتماع وغير ذلك من مناحي الحياة لا دخل للدين في هذا كما تسمعون هذا كثيرا على ألسنتهم،

◆ أما لفظ "الليبرالية"

فهي مأخوذة من أصل كلمة معناها يعني الحرية، وهو مذهب فكري يدعو إلى التحرر من كل شيء، وألا يكون الإنسان مستأسرا ولا متقيدا ولا منضبطا بأي شيء، لا بدين ولا بشرع، وإنما يفعل ما يميله عليه عقله ورأيه فهو يفترض أنه لا يلزم الإنسان دين ولا أن يتبع ما جاءت به الأنبياء؛ فسموا أنفسهم بهذا الاسم الذي ظاهره جذاب؛ لأن معنى الليبرالية أي الحرية، وكلمة حرية تبدو محبة للنفوس، لكنها حرية منفلة، يعني هي حقيقة ينبغي أن تعرف الليبرالية بالانفلات المطلق كما فسرها منظروها أنفسهم بأنها تعني الانفلات المطلق، ولا شك أن هذا مناقض لأصول الديانات إذ أن الدين هو المنهج والشريعة التي يسلكها العبد في سبيل إرضاء ربه فعلى الحذر من هؤلاء ومن هؤلاء

◆ ثم ذكر الشيخ - رحمه الله - قول الله - عز وجل - : { وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن

مصلحون }

هؤلاء هم المنافقون أيضا، والإفساد نوعان:

- إفساد حسي مادي

- وإفساد معنوي

وأيهما أشد خطراً؟ الثاني أشد خطراً لأن الأول الحسي المادي يتعلق بالملكات وما يمكن استصلاحه أما الإفساد المعنوي فإنه يتعلق بالعقائد والقيم والأخلاق شيء قد يموت عليه الشخص فيمتد أثره حال الدار الآخرة، وعلى كل حال فكلا الإفسادين مذموم فالله تعالى يقول:

(وإذا قيل لهم): أي للمنافقين

(لا تفسدوا في الأرض): أي لا تفسدوا فيها بالكفر وأنواع المعاصي وأيضاً لا تفسدوا فيها بالوشاية والسعاية

بالسوء للإضرار بأهل الإيمان

(قالوا إنما نحن مصلحون): يعني ما نحن فيه إصلاح وليس بفساد هكذا خيل لهم

◆ فهذه الآية مناسبة للباب

لأنها في الحقيقة تدل على أن من دعا إلى التحاكم إلى غير ما أنزل الله فقد أفسد في الأرض من دعا إلى التحاكم إلى غير ما أنزل الله في أي مرفق من مرافق الحياة فقد أفسد في الأرض أيها إفساد حيث صرف الناس عن الصراط المستقيم إلى دروب ومسالك ضالة.

◆ فنستفيد من هذه الآية:-

- التحذير من التحاكم إلى الأنظمة الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية.
- نستفيد ثانياً، أن الضالين يعتقدون أنهم مصلحون؛ فلا تعجب إذا رأيتهم ينافحون عن فكرته، ويظهر عليه أثر الغيرة والحمية؛ لأنه ربما رأى في حقيقة نفسه أنه مصلح، والأمر ليس كذلك.
- نستفيد أيضاً، التحذير من الإعجاب بالرأي؛ يعني لا تجزم إلا بنص معصوم أما إذا كان مجرد رأي فضع نفسك تحت سلطة النص فإن وافقك فالحمد لله وإلا فهىء نفسك للرجوع إلى الحق متى استبان لك فإن من الناس من يعجب برأيه، ولهذا جعل النبي ﷺ ذلك من أسباب اعتزال الناس قال: (وإعجاب كل ذي رأى برأيه) فاعتزل تلك الفرق فينبغي للإنسان أيها الإخوان أن يوطن نفسه على اتهام رأيه وأن رأيه قابل للخطأ هذا فيما لا نص فيه يعنى بين أم إذا كان ثم نص فالحمد لله العصمة بالاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ

- أيضا نستفيد فائدة عظيمة وهو أن كل معصية في الأرض فهي فساد، وتأملوا قول أخوة يوسف لما قيل:
(أيتها العير إنكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) إلى أن قالوا (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الأرض) إذا السرقة فساد كل معصية فهي فساد
- وأيضا هذه الآية تفيدنا عدم الاغترار بأقوال أهل البدع والأهواء وان زخرفوها بدعوى الإصلاح

ثم نقل المصنف - رحمه الله - :

◊ قوله تعالى: { ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها }:

"لا": هذه ناهية،

"ولا تفسدوا": كما أسلفنا الإفساد يكون بالشرك والمعاصي أو الإتلاف،

"بعد إصلاحها": بما صلحت الأرض بالإيمان الذي جاء به الأنبياء فالأرض تصلح حقا بما أتى به أنبياء الله

تعالى من الإيمان، والشرائع العادلة، والأخلاق القويمة ولهذا نهاهم نبيهم عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها

◊ فمناسبة هذه الآية للباب أيضا واضحة

وهو أن من تحاكم إلى غير شرع الله فقد أفسد في الرص بعد إصلاحها، فهؤلاء اللذين يدعون مجتمعاتهم
الإسلامية إلى محاكاة الغرب والشرق والسير على خطاهم هم في الحقيقة يدعون إلى الإفساد في الأرض بعد
إصلاحها، وكل هذا أيها الإخوان كما لا يخفى عليكم لا يتناول النافع المفيد فإن ما تأتي به الشعوب من وسائل
وأدوات وصناعات هذه أمر مشترك يتبادل فيه الناس المنافع ويأخذ بعضهم من بعض، وإنما الكلام فيما يتعلق
بالعقائد، والأخلاق، والقيم، والمبادئ فإن الله - سبحانه وتعالى - أغنانا أيها غنية عن غيرنا فلا يجوز أن نستبدل
الذي هو أدنى بالذي هو خير

◊ نستفيد من هذه الآية:

ما تقدم أن المعاصي سبب فساد الأرض ويقابل ذلك أن الطاعة سبب صلاحها

- نستفيد على وجه الخصوص أن الحكم بغير ما أنزل الله إفساد في الأرض فإذا جاء هؤلاء ونفروا أهل
الإسلام من تطبيق الحدود مثلا وقالوا كيف يقتل تزهق نفس القاتل كيف تقطع يد السارق هذه قسوة هذه وحشية

كما يدعون بهذا الكلام المزخرف فإن علينا أن نعلم أنهم هم المفسدون حقا وأن الإصلاح هو بإتباع ما شرع الله الذي هو أعلم بمن خلق فلا تتأثر بهذه الدواعي بل نعلم فسادها ولهذا جاء في حديث ((حدّ يقام في الأرض خير من أن تمطروا أربعين صباحا)) نعم وكما قال الله: { ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب } فالحياة والصالح هو بالتزام شرع الله - عز وجل -

أنقل لكم كلام لأبي بكر ابن عياش - رحمه الله - يقول:-

(إن الله بعث محمد ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله به فمن دعا إلى خلاف ما جاء به فهو من المفسدين في الأرض) أحسن التنظير - رحمه الله -
وقال ابن القيم - رحمه الله - في [بدائع الفوائد]

(من تدبر أحوال العالم، وجد كل صلاحا في الأرض فسببه توحيد الله، وعبادته، وطاعة رسوله، وكل شر في العالم، وفتنة، وبلاء، وقحط، وتسليط عدو، وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله، والدعوة إلى غير الله، ورسوله)

◆ ثم نقل المصنف - رحمه الله - تعالى:- قول الله - عز وجل - (أفحكم الجاهلية يبغون)

تتمة الآية: (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون):-

(أفحكم): هذا استفهام فيه همزة الاستفهام وهو استفهام إنكاري للتوبيخ،

(أفحكم الجاهلية): الجاهلية في الواقع هي كل ما خالف الإسلام كل ما خالف الإسلام فهو جاهلية ولكنها

تطلق اصطلاحا تاريخيا على الفترة التي سبقت بعثة نبينا محمد ﷺ، وذلك لعموم الجهل فيها، وإلا فإن الجاهلية:

- قد تظهر على الأفراد، وقد تظهر على المجتمعات، وقد قال النبي ﷺ للرجل الذي قال لبلال يا ابن

السوداء قال (إنك امرؤ فيك جاهلية) فقد تظهر خلال الجاهلية على بعض الأفراد

- وقد تظهر على المجتمعات كما قال النبي ﷺ (أربع في أمتي من أمر الجاهلية هي فيهم إلى يوم القيامة)

وذكر الخصال الأربع التي مرت بنا فدل ذلك على ان الجاهلية لا تختص بفترة زمنية ولكنها من حيث

الاصطلاح التاريخي هي الفترة التي سبقت بعثة نبينا محمد ﷺ كما قال الله - عز وجل - لنساء النبي (ولا

تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) فتلكم هي الجاهلية الأولى ولكن قد تقع جاهليات لاحقة ولأن مرد ذلك

إلى الجهل (أفحكم الجاهلية يبغون).

ومعنى "يبغون": أي يريدون ويطلبون ويشتهون،

تتمة الآية (ومن أحسن): وهذا الاستفهام للنفي لأن جوابه لا أحد إذا كان الجواب بلا فالاستفهام للنهي،

(ومن أحسن): أي لا أحد أحسن إذا الاستفهام للنهي،

(ومن أحسن من الله حكما): هذا لا يدل على أن في الطرف الثاني حسن لأن أفعل التفضيل لا يقتضى وجود

فضل في الطرف المقابل ألم يقل الله - عز وجل - : (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) هل

الطرف الآخر الذي هم أصحاب النار عندهم شيء من خير أو حسن لا شيء البتة فكون الله - عز وجل - يقول:

(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)، لا يدل على أن المسألة موازنة ومرجحة لا يلزم من هذا أن يكون في

الطرف الآخر حسن بل الحسن كله في ما أنزل الله، والسوء كله فيما ناقض ما أنزل الله (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ

حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ): يعني لقوم يؤمنون ويعلمون أن ما عند الله - عز وجل - هو الخير والهدى فكل مؤمن كل

مؤمن استقر الإيمان في قلبه يعلم يقينا بأن حكم الله صالح لكل زمان ومكان وأمة لا يخالجه في هذا شك،

يعلم أن الله - سبحانه وتعالى - بسابق علمه وتدبيره أنزل شرعا صالحا مصلحا للأفراد والمجتمعات لا

يخالجهم في هذا شك ولا يستتمه صورة من الصور لهذا قال الله: (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)

◆ إذا هذه الآية مناسبة جدا للباب:

إذ أن فيها أن من طلب التحاكم إلى غير الله - عز وجل - فقد ابتغى حكم الجاهلية أن من طلب التحاكم إلى

غير الله إلى غير حكم الله - عز وجل - فقد طلب حكم الجاهلية إذا ليس ثم إلا حكما حكم الله وحكم الجاهلية

فقط هدى وضلال

◆ نستفيد من هذه الآية:-

- وجوب تحكيم شرع الله

- ونستفيد أيضا أن كل ما خالف شرع الله فهو من حكم الجاهلية

- ونستفيد أيضا فضل الشريعة وكما لها وصلاحها بشهادة رب العالمين

- ونستفيد أيضا ان تحكيم القوانين الوضعية كفر بالله - عز وجل - نبذ شريعة الله استعاض عنها بالقوانين الوضعية أن هذا كفر بالله - عز وجل -
ثم ذكر المصنف - رحمه الله تعالى -:

◊ عن عبد الله ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) قال

النووي حديث صحيح رويناہ وبعضهم يكتبها رويناہ في كتاب الحجۃ بإسناد صحيح

أما النووي: فهو الإمام المعروف محيي الدين أبو زكريا يحيى ابن شرف النووي نسبة إلى نوى قرية من قرى الشام وهو إمام عالم مصنف مشهور مشارك في جميع العلوم علومه وكتبه نافعة سيارة ومن أشهرها [رياض الصالحين] كانت وفاته سنة ست مئة وست وسبعون للهجرة، أما الكتاب الذي أحال إليه النووي فهو كتاب [الحججة على تارك المحجة] وليس كتاب [الحججة في بيان المحجة] وإنما كتاب الحججة على تارك المحجة لأبي الفتح ابن إبراهيم المقدسي،

إلا أن هذا الحديث: في الواقع فيه نزاع في ثبوته، فقد أخرجہ من المصنفين من يلي: ابن أبي عاصم والبغوي، والخطيب، وصححه الخطيب البغدادي، وأخرجه الحكيم الترمذي، وأبو القاسم الأصبهاني، والبيهقي، وأبو نعيم، والطبراني، والسجزي حسن غريب إلا ابن رجب - رحمه الله - ابن رجب الحنبلي في شرحه [للأربعين النووية] لأن هذا من الأحاديث التي انتخبها النووي في أربعينه أقل تصحيح هذا الحديث بعيد جدا ذكره في [جامع العلوم والحكم]؛ وذلك لأنه قد انفرد به نعيم ابن حماد المروزي، واختلف عليه في إسناده كما أن فيه عقبة بن أوس البصري فالحديث محل نزاع في تصحيحه وتضعيفه إلا أن معناه صحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) فنفي النبي ﷺ الإيمان الواجب، أقول الإيمان الواجب، عن من لم يكن هواه تبعا لما جاء به النبي ﷺ، وهذا معنى صحيح؛

ولهذا قال الشيخ سليمان ابن عبد الله ابن محمد ابن عبد الوهاب صاحب [تيسير العزيز الحميد] - رحمه الله -

قال: معناه صحيح قطعاً وان لم يصح إسناده واصله في القرآن كثير يعني هذا المعنى في القرآن كثير، ما مثال ذلك؟

- قال الله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء: ٦٥]، معنى الآية هو معنى الحديث (ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) إذا صار هواهم تبعاً لما جاء به.

- وما يؤيده أيضا قول الله تعالى: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ) [القصص: ٥٠]، فدل ذلك على منافاة هذا للإيمان طيب ما المقصود بالهوى المقصود بالهوى يعني ما تميل إليه النفس وتحميه،

- وقوله (تبعاً لما جئت به) أن يجب ما أمر الله به رسوله، ويكره ما نها الله عنه ورسوله، والمقصود يا رعاكم الله أن يمتثل الأوامر حتى لو وجد في نفسه ثقلاً فانه إذا فعل الأوامر ولو وجد في نفسه ثقلاً وترك الملاهي ولو وجد في نفسه رغبة فيها دليل على تقديمه محاب الله ومحاب رسوله على هوى نفسه، فلو قال إنسان يعني أجد في نفسي هوى في مثلاً الوقوع في المحرم من المال الحرام أو الفرج الحرام أو غير ذلك لكنني أدعه لله فهل هذا يدل على أنه لم يكن هواه تبعاً لما جاء به ﷺ يقال كلا وجود هذه الغريزة لا ينقد إيمانك بل يدل هذا على صحة الإيمان أنك أطرحت هوى نفسك والتزمت بأمر الله، وامثلته واجتنبت نبيه فهذا دليل الإيمان

◆ فمناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة

إذ أنها تدل على نفى الإيمان عن من لم يمتثل أمر الله ولم يطمئن إلى شرعه

◆ ونستفيد منها ما يلي:-

- وجوب محبة ما جاء به الرسول ﷺ؛ وهذا هو أيها الإخوان يحصل بالمجاهدة والدربة ربما كان الإنسان في وقت من الأوقات يمتعض أو يكره بعض ما جاءت فيه السنة لكن بالمجاهدة يجعل الله الحسن حسناً، والقبیح قبيحاً فلينشأ الإنسان على هيئة معينة، أضرب لكم مثلاً:- مثلاً - حلق اللحية بعض الناس يرى فيها جمالاً ويرى فيها حضارة وتمدناً، وإذا قيل له أعفني لحيتك وجد في نفسه غضاضة وكره لهذا الشيء لكنه إذا جاهد نفسه وتأمل أن هذا هدى محمد ﷺ تطيب نفسه فيما بعد ويجب محبوبات الله ومحبوبات نبيه ﷺ، وكل في ذلك في بقية الأمور

والمنهيات فهذا أحيانا يحصل في الدربة وبعض الناس يكون من البداية ممثلا على الفطرة قريبا من الفطرة فلا يحتاج إلى عناء شديد لأن يجعل هواه تبعا لما جاء به النبي ﷺ، وبالمقابل كما قلنا وجوب محبة ما جاء به النبي ﷺ - نقول أيضا من الفوائد وجوب بغض ما خالف ما جاء به النبي ص؛ فليكن حبك في الله وبغضك في الله فإن هذه أوثق عرى الإيمان

- وفيه أيضا انتفاء الإيمان الواجب عن من مال بهواه عما جاء به رسول الله - أيضا نستفيد فائدة وهي أن الإيمان يتفاضل ويزيد وينقص لأن هذه المسألة (حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) متفاوت فيها الناس تفاوتًا بالغًا فلهذا دل على أن أهل الإيمان يتفاضلون وأن الإيمان يزيد وينقص - نستفيد أيضا أن الإيمان التام يستلزم الموافقة التامة ظاهرا وباطنا وهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة أن العمل قرين الإيمان لا ينفكان لا يمكن أن يتصور إيمان بلا عمل فلأجل ذلك قال أهل السنة الإيمان قول وعمل وقالت المرجئة الإيمان اعتقاد بالقلب وأرجئوا العمل عن مسمى الإيمان فلا والله لا يمكن يوجد إيمان في القلب لا يستدعي ولا يستوجب عملا وكل ما كان للإيمان في القلب أتم كان العمل أتم - نستفيد أيضا انتفاء الإيمان الواجب عن أهل البدع والأهواء والفساق؛ لأنهم لم يجعلوا هواهم تبعا لما جاء به ﷺ، وإنما مالوا إلى مناهج منحرفة

- نستفيد أيضا أيها الإخوان والأخوات أن محبة الأشخاص والأعمال والأمكنة والأوقات متعلقة بكمال الإيمان، ونقص ذلك نقص في الإيمان؛ يعني مزاج المؤمن يتكيف تكيفا إيمانيا يجب محبوبات الله يجب من الأزمنة شهر رمضان، ويجب من الأمكنة مكة والمدينة وبيت المقدس، يجب من الأشخاص ومن الذوات المتقين والمحسنين والصابرين كل من أحبهم الله أحبهم، والهيات يجب السجود لأن الله يحبه، وهكذا يجب الدعاء لأن الله تعالى يحبه

◆ ثم قال: وقال الشعبي

الشعبي: إمام مشهور معروف وهو عامر ابن شراحيل الكوفي قال:

(كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة): يعني نزاع

(فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد): ما شاء الله ما الذي حمل اليهودي إلى الترافع النبي ﷺ عرف أنه لا يأخذ

الرشوة والمقصود بالرشوة هو ما يعطاه الحاكم من أحد المتخاصمين ليحصل على مراده فكأن هذا اليهودي علم أن الحق في جانبه وأن النبي ﷺ سيحكم له وإلا فليس هذا تعظيم للنبي ﷺ (فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد:

عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود: - عيادا بالله - قال نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة) يعرف طبيعة القوم، وأنه كان مستعدا لبذل الرشوة ليحصل له مراده
فاتفقا على أن يأتيا كاهن من جهينة فيتحاكما إليه: يعني لما اختلفا كان لا بد من حل وسط فكان أن هداهم الشيطان إلى أن يتحاكما إلى كاهن من جهينة والكهان كما سبق معنا موجودون في كل حي من أحياء العرب يكون لأحدهم رأي من الجن من الشياطين يوحى إليه،

فنزلت (ألم تر إلى الذين يزعمون): الآيات التي صدر بها الشيخ - رحمه الله -

◆ هذا الحديث - أيها الإخوان - وهذه القصة أخرجه: ابن جرير وكذلك أخرجه الواحدي بإسناد صحيح إلا

أنه مرسل يعني مرسل سقط صحابي وأخرجه البغوي معلقا عن الشعبي

◆ ومناسبته للباب ظاهرة

لأن فيها أن نتحاكم إلى غير شرع الله ينقض الإيمان بالله الاستدلال بهذه الآية وأن هذه الآية نزلت لخصوص هذا السبب فنفى الله الإيمان عن من تحاكما إلى غير شرعه وزهد بشرعه.

◆ ونستفيد من هذه القصة أو من هذا الأثر:-

- أولا: وجوب نتحاكم إلى شريعة الله

- ونستفيد أن نتحاكم إلى غير شرع الله ينافي الإيمان

- نستفيد أيضا فائدة عظيمة وهي أن المنافقين أخبث من اليهود

- ونستفيد أيضا دناءة اليهود لأخذهم الرشوة، وخداع المنافقين لبذلهم الرشوة.

- ونستفيد أيضا تحريم الرشوة أخذا وإعطاءً وسعاية؛ لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما، فالراشي بادئ

الرشوة والمرتشي من يقبلها والوسيط بينهما الرائش، كلهم داخلون في اللعنة

- ونستفيد أيضا شدة كراهة المنافقين وأشباههم لحكم الله ورسوله؛ يعني أثر هذا المنافق يتحاكم إلى كاهن من

جهينة .

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛؛